

مضامين الكتابات الجنائزية في الصحف والجرائد اليومية

زواوي بن كروم⁽¹⁾

مقدّمة

تتمحور دراستنا حول الكتابات الجنائزية معتمدين في ذلك على تحليل مضمونها في الجرائد اليومية الجزائرية مثل: جريدة الشروق، وجريدة الجمهورية وجريدة le Quotidien d'Oran، وهذا في فترة زمنية محددة. وهذه النصوص لها مناسبات مثل الإعلان عن وفاة، والتعزية، والذكرى والترحم، والشكر والعرفان. وهي مرتبطة عموما بحدث الموت؛ حيث يتعرض الإنسان إلى الموت بطرق شتى، سواء عن طريق مرض أو موت طبيعي أو حادث سير. ويبقى الخوف من الموت ملازما لوجودنا. وتظهر الكتابات الجنائزية سواء في فضاءات الدفن أو في الجرائد. ومنه، نفترض مبدئيا أن تلك الكتابات تلخص نظرة الفاعلين ورؤيتهم بالاعتماد على نصوص قصيرة أو متوسطة الطول، وهي تبدأ أو تختتم بآيات قرآنية. ويتم ذكر لقب العائلة واسم المتوفي وتاريخ ولادته ووفاته. وتوجه طلبا إلى الذين عرفوه للدعاء له بالرحمة وقراءة سورة الفاتحة على روحه. ويكون الدعاء للمتوفي وفق الصيغ التالية: "راجين من - الله عزّ وجل - أن يتغمد روحه الطيبة برحمته الواسعة - إنا لله وإنا إليه راجعون¹، اللهم أسكنه فسيح جنانه...".

⁽¹⁾ Centre de Recherche en Anthropologie Sociale et Culturelle, 31000, Oran, Algérie.

¹ سورة البقرة، الآية : 156.

وتعتمد دراستنا على تحليل المضمون، وهو الشيء الذي يساعدنا على معرفة المضامين والمواضيع والمواقف والرغبات والقيم والميول وسلوك الأفراد وتوجهاتهم. ويهدف محورنا إلى تحديد المضامين المشتركة للكتابات الجنائزية وذلك بوصف واستخلاص ما هو مشترك بينها، علما أن هذه "الصيغ" متأصلة في الثقافة الإنسانية؛ لأنها مرتبطة بالإحساس. ونجد أن الفاعلين في سياقنا الثقافي يعتبرون الموت "قضاء وقدرًا" ويربطونه بمعتقداتهم الدينية. وعلى العموم، يعرف البشر أن الموت نهاية حتمية للوجود الإنساني. وتحيل الكتابات في الجرائد إلى خصال المتوفي ودوره وأهميته في الحياة العائلية والمجتمعية. وهي تعبر عن الحزن والأسى والفراغ الذي لا يعوضه سوى الإيمان بقضاء الله وقدره. ويقول الفاعلون في هذا الشأن: "الله يعوض المحبة بالصبر".

ولقد أصبحت الكتابات الجنائزية من الممارسات التي يعبر من خلالها أفراد عائلة الفقيد وأصدقائه عن المواساة وتضامنهم مع أهل المتوفي. وعليه فهل يمكننا اعتبار الكتابات الجنائزية الموجودة في الجرائد اليومية امتدادا للكتابات الشاهدية؟ أم هي تتجاوزها بحيث يتم التعبير فيها بصفة أكثر عن أحاسيس العائلة وشعورها؟

الفرضيات

الفرضية الأولى: الكتابات على الجرائد هي امتداد للكتابات الموجودة على شواهد القبور.

الفرضية الثانية: الكتابات على الجرائد مختلفة ومكتملة لما تم السكوت عنه في الكتابات الشاهدية.

إننا نعمل على فهم ما يكتبه الآخرون، علما أنّ عملية الفهم هي فهم ذاتنا وفهم الآخرين) تعتبر نتيجة عمل علمي (Durkheim, 1988) كما هو الحال بالنسبة لمنهجية تحليل الخطاب التي تهدف إلى التعرف على الرموز والمعاني.

(Geertz, 1996) ويساعد تحليل المضمون في تحليل مضامين المادة الشفوية والمكتوبة التي نحن بصدد دراستها. (Robert et Bouillaguet, 1997) إن المادة المكتوبة في الجرائد اليومية تحمل معاني الأفراد وأحاسيسهم والتي يعبرون عنها بطرقهم الخاصة في فضاء عمومي. وأصبحت الكتابة الخاصة بالوفيات في تزايد؛ حيث نجد أن بعض الصحف تخصص لها صفحة كاملة.

بعض النماذج من الكتابات الجنائزية في الجرائد

خلال دراستنا للكتابات الجنائزية في الجرائد لاحظنا أنه يتم إلحاق صورة المتوفى بالإعلان. كما نجد في هذه الكتابة تعابير مرتبطة بالجانب الروحي مثل طلب عائلة المتوفى من كل شخص عرفه بالدعاء له، وطلب الرحمة والمغفرة لروحه الطاهرة وأن يسكنه الله فسيح جنانه. كما يتم الإشارة في بداية الإعلان أو في آخره إلى آيات قرآنية مثل : "يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي"²، وقوله تعالى "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ"³ وقوله تعالى "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ"⁴.

وهناك مناسبات تتيح نشر إعلانات، منها :

الإعلان عن وفاة : نجد أن بعض الإعلانات تبدأ بآية قرآنية "كل نفس ذائقة الموت"⁵، كما يتم ذكر اسم المتوفى ولقبه، وتوضع صورته مع ذكر عمره في بعض الحالات، كما يتم الإشارة إلى تاريخ الوفاة. وقد ترد تعابير يطلب فيها أهل الفقيد إلى كل الذين عرفوا المتوفى بالدعاء له بالرحمة والمغفرة، وأن يسكنه الله فسيح جناته. ويختتم النص بآية قرآنية : "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ"⁶.

² سورة الفجر، الآيات : 27-30.

³ سورة آل عمران، الآية : 185.

⁴ سورة البقرة، الآية : 156.

⁵ سورة آل عمران الآية : 185

⁶ سورة البقرة، الآية : 156.

التعزية : يستعمل نصها بعبارة "ببالغ الحزن والأسى" أو "بقلوب حزينة"، للتعبير عن مدى عمق الحالة والوضعية التي يشعر بها أهل الفقيد وأقاربه، ثم يتم ذكر اسم المتوفى ولقبه وتاريخ الوفاة، ونجد عبارات طلب الرحمة والمغفرة له، ونجد أيضا عبارة : "اللهم ألهم ذويه الصبر والسلوان"، وعبارة أن "يسكنه الله - عزّ وجل - فسيح جناته"، وتختتم الكتابة الجنائزية بآية قرآنية " **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**"⁷.

الأربعينية : في هذا السياق يتم ذكر المدة التي انقضت على الوفاة ؛ بحيث نجدها تتكرر في معظم الكتابات الخاصة بالأربعينية، كما يتم كتابة الآيات القرآنية في بدايتها أو آخرها، ويتم الإشارة إلى المكانة التي يحتلها الفقيد في الحياة العائلية والمجتمعية، مع ذكر اسمه ولقبه. وفي بعض المرات يرفق الإعلان بصورة المتوفى.

ذكرى وترحم: تُستعمل آيات قرآنية مثل : "وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ"⁸، "كُلُّ مَنْعَلَمًا فَإِنْ* وَيَنْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ"⁹ "يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي"¹⁰. ويتم ذكر المدة الزمنية إن كانت مثلا الذكرى السنوية الأولى أو الثانية، ويشار إلى اسم المتوفى ولقبه. ونجد طلب الدعاء له بالرحمة والمغفرة، وأن يسكنه جنة الرضوان. وفي هذه الذكرى يتم التعبير عن الفراغ الذي خلفه المتوفى في الوسط العائلي والذي لا يعوضه حسب

⁷ سورة البقرة، الآية : 156.

⁸ سورة البقرة، الآيتان : 155-156.

⁹ سورة الرحمن، الآيتان : 26 - 27.

¹⁰ سورة الفجر، الآيات : 27-30.

التعبير سوى الإيمان بقضاء الله وقدره، ويختتم الإعلان بأية قرآنية: "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ"¹¹.

وسواء كانت النصوص متوسطة أو قصيرة، إلا أنه يربطها عامل مشترك وهو الدعاء بالرحمة والمغفرة للمتوفى، مع ذكر آيات قرآنية والتعبير عن الإيمان بقضاء الله وقدره. ونجد تقريبا المضامين نفسها في الجرائد اليومية باللغة الفرنسية مثل : le quotidien d'Oran، إلا أنّ هذه الكتابات لا تبدأ بأية قرآنية؛ بل تختتم بها وتكون باللغة الفرنسية أو باللغة العربية.

الكتابات الجنائزية في جريدة الجمهورية¹²

كانت جريدة الجمهورية عند نشأتها تصدر باللغة الفرنسية وفيها بعض الصفحات باللغة العربية، وكانت تحتوي على مساحة مسماة بـ (notre carnet)؛ حيث توضع فيها إعلانات خاصة بالوفيات. ويتم الإشارة فيها إلى اسم المتوفى وعمره، إلى جانب وجود عبارات خاصة بشكر الأفراد الذين واسوا العائلة، ويتم الإشارة إلى المكان الذي يجرى فيه العزاء. ولاحظنا أنه في هذه الخانة يتم أيضا الإعلان عن الأفراح، والتهاني، والولادات، وإعلان عن بحث Recherche مكتوب باللغة الفرنسية، وإعلان في فائدة العائلات مكتوب باللغة العربية.

ولم يتم الإشارة في إعلانات جريدة الجمهورية (1976) الصادرة باللغة الفرنسية إلى العبارات التالية: "إنا لله وإنا إليه راجعون"¹³، "اللهم أسكنه فسيح جناتك"، ولا وجود لآيات قرآنية أخرى أو أدعية الغفران سوى نادرا مثلما هو الحال في بعض الإعلانات الموجودة في شهر جويلية وأوت 1976. وفي التعزية يتم

¹¹ سورة البقرة، الآية : 156.

¹² بحث ميداني خلال شهر أكتوبر 2014 والتحليل النظري، جانفي - ماي 2015.

¹³ سورة البقرة، الآية : 156.

ذكر اسم المتوفى والعبارات الخاصة بالأسى والحزن، ويتم الإشارة إلى المكان الذي يقام فيه العزاء. وفي التذكارات يتم الإشارة إلى اسم العائلة والشخص المتوفى كما يتم شكر الأفراد الذين شاركوا في العزاء. وحينها كان يحصل الجمع بين التذكارات والأسبوعية التي يذكر فيها اسم المتوفى وتاريخ وفاته وتاريخ الاحتفال بالذكرى الأسبوعية. ويتم في خانة التذكارات والإعلان عن إحياء السهرة الدينية باللغة الفرنسية (سبتمبر 1976)، وتقديم الشكر والعرفان للأفراد الذين واسوا الأسرة، كما يتم ذكر تاريخ الحفل الديني. أما في مناسبة الأربعينية فيتم ذكر اسم الشخص المتوفى والمكان الذي ستجرى فيه السهرة الاحتفالية الدينية، ما يدل على أن هذا الإعلان مخصص لأهل المتوفى والأصدقاء المقربين.

جريدة الجمهورية جانفي 1977 باللغة العربية

لقد تحولت جريدة الجمهورية من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية في واحد جانفي 1977 ونجد فيها العبارات التالية :

- "نتمنى من العلي القدير أن يسكنها فسيح جناته وأن يرزقه وذويه الصبر والسلوان".

- "راجين من المولى - عزّ وجل - أن يسكن الفقيد فسيح جناته ويلهم ذويها الصبر والسلوان".

- "غمر الله روحهما بجناته وألهم أهل الصبر والسلوان. إنا لله وإنا إليه راجعون"¹⁴.

- "تطلب إلى الله - عزّ وجل - أن يسكن الفقيدة فسيح جناتها ويتغمدها برحمته الواسعة".

- "تغمّد الله الفقيد برحمته الواسعة، وألهم ذويه الصبر والسلوان".

وتحتوي جريدة الجمهورية أيضا على إعلان تعزية صادر عن مؤسسة : بحيث تم ذكر اسم المؤسسة التي كان يعمل فيها الفقيد، مع الإشارة إلى جميع

¹⁴ سورة البقرة، الآية : 156.

العمال وإلى اسم المتوفى مع إدراج عبارات التعزية مثل: "مشاعر العطف والمواساة". وتضم الوفيات عبارات مثل: "المغفور له"، ويتم ذكر أسماء العائلات والأصدقاء المقربين من المتوفى، كما يذكر اسم المتوفى والزمان والمكان الذي يجري فيه العزاء. ويطلق على المناسبة أيضا إعلان عن وفاة، وفيها يتم الإشارة إلى أسماء العائلات والأصدقاء المقربين مع ذكر اسم المتوفى وعمره ويذكر الزمان والمكان الذي يجري فيه العزاء. كما تذكر عبارات: "الابن العزيز"، و"يتغمدها الله برحمته الواسعة"، و"ببالغ الأسى والحزن". ويتم في الشكر، ذكر أسماء العائلات المقربة من الفقيد ويشكر كل من واسوهم من قريب أو بعيد لمؤازرتهم وحزنتهم على الفقيد(ة). وفي التثكرات يتم ذكر عمر المتوفى، كما يتم في بعض الحالات الإفصاح عن سبب الوفاة، ويتم الإشارة إلى المكان الذي انقضى فيه أجل المتوفى وسنة الوفاة، ويتم ذكر عبارة "شاطروهم حزنهم". أما اليوم السابع، فيتم فيه ذكر اسم المتوفى مع إدراج مفردات مثل: "الفقيد"، و"المرحوم"، و"المغفور له"، وتاريخ الوفاة وتاريخ السهرة الدينية. ويتم في هذه الخانة الإبانة عن أسماء العائلات التي تحي الحفل الديني.

وتعتبر هذه الممارسات الكتابية والشفهية امتداداً للممارسات الإسلامية القديمة، فقد عرّف الزمخشري (538هـ) التعزية كما يلي: "واستعزّ بِالرَّجُلِ إِذَا أُصِيبَ بِعِزَاءٍ، وَهِيَ الشَّدَّةُ مِنْ مَرَضٍ أَوْ مَوْتٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ". (أساس البلاغة: 300) وقال المبرد (288هـ): "وتعزيتك الرجل تسليتك إياه، والعزاء هو السلوك وحسن الصبر على المصائب، وخير من المصيبة العوض منها، والرضى بقضاء الله والتسليم لأمره تنجزا لما وعد من حسن الثواب". (المبرد، 1992، ص. 8) ويقول أبو الفتح الأبيشيبي: "التعزية هي التصبر وذكر ما يسلي صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته". (المستطرف في كل فن مستظرف)، وذلك لما تحمله من تضامن وانسجام اجتماعي بين الأفراد؛ بحيث تفضي إلى الود والرحمة والتآخي والتآزر بين أفراد عائلة المتوفى والأقارب والأصدقاء، ويؤدّد ذلك نوعا من التسامح الاجتماعي. (Comte-Sponville, 1995) وكان العرب في الجاهلية

يعرفون فضائل الصبر. ولما جاء الإسلام ظهرت نزعة جديدة في العزاء، تقوم على التسليم لله والرضا بقضائه والصبر على امتحانه وهذا طلباً للأجر، يقول الله تعالى: "وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ *أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ"¹⁵.

ومن التعزية ما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام عندما توفي ابنه إبراهيم: "يا إبراهيم إنا لا نغني عنك من الله، وذرفت عيناه، ثم قال: "لولا أنه أمر حق ووعد صدق وأن آخرنا سيلحق أولنا لحزننا عليك حزنا هو أشد من هذا، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون، تبكي العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب. (القلقشندي أبو العباس، 1916، ص ص. 80-81) واعتبر الرسول عليه الصلاة والسلام بأن الموت حق ووعد صدق.

وأبلغ ما كُتِبَ في التعزية ما كتبه الرسول عليه الصلاة والسلام إلى معاذ بن جبل:

"سلام عليك، فإنني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فعظم الله لك الأجر وألهمك الخير، ورزقنا وإياك الشكر، ثم إن أنفسنا وأهلينا وموالينا من مواهب الله السنّية وعوارفها المستودعة، تمتع بها إلى أجل معدود، وتقبض لوقت معلوم، ثم افترض علينا الشكر إذا أعطى والصبر إذا ابتلى، وكان ابنك من مواهب الله الهنية، وعوارفه المستودعة، تمتعك به في غبطة وسرور، وقبضه منك بأجر كثير، الصلاة والرحمة والهدى إن صبرت واحتسبت، فلا تجمعن عليك يا معاذ خصلتين، أن يحبط جزعك صبرك فتندم على ما فاتك، فلو قد مت على ثواب مصيبتك قد أطعت ربك وتنجزت موعوده، عرفت أن المصيبة قد قصرت عنه، واعلم أن الجزع لا يرد ميتا، ولا يدفع حزنا، فأحسن الجزاء وتنجز الموعد". (المبرد، 1992، ص ص. 20-21)

¹⁵ سورة البقرة، الآيات: 155-157.

ويحث الإسلام (Dubreuil, de Montigny et Robichaud, 2005, pp. 6-7) الأفراد على الاستعداد للموت، وبفقدان أحد الأحباء أو الأقارب يرجع المسلمون إلى القرآن ؛ لأنه يعطي تعليمات بهدف التعامل مع الألم والمواساة. وهناك فترة أولى للحداد تدوم ثلاثة أيام من خلال الصلاة والدعاء للميت، وفي بعض الحالات يرتدي الأقارب اللباس الأسود للتعبير عن حزنهم. كما تمنع النساء من الزينة والحلي. ويشجع الإسلام الأفراد على تقاسم خبرتهم والتكلم عن آلامهم إزاء حدث الوفاة. كما يجب على الرجال التحكم في عواطفهم وعلى النساء التحكم في صراخهن. وبعد هذه المرحلة يتم الرجوع إلى الحياة العادية، ومن الضروري تقبل الفقدان واحترام إرادة الله وعدم التماذي في إظهار الحزن. (الشيخ الألباني) كما أن هاته الوضعية مرتبطة بحالة نفسية يسميها علماء النفس بالحداد. وعليه تمثل حالة الحداد عاملاً رئيسياً في دراستنا، فهو يحصل بسبب فقدان عزيز مثل : أحد الوالدين أو صديق... وهو رد فعل نفسي يلحق هذا الفقدان، ويعاش وفق حالات مختلفة.

التأثر النفسي والمرضي للحداد : ويكون الأثر النفسي للحداد بارزاً بسببه تغيير إزاء الدعم العاطفي والمالي والعائلي...إلخ. كما تطول فترة الحداد والتي تكون مفعمة بالآلام. (Deuil normal et pathologique) وتوصلت الطببة النفسانية إليزابيث كوبر روس (Elizabeth Kuber- Ross) في دراساتها إلى أنه توجد سبع مراحل للحداد وهي : (Mombourquette, 1993) الصدمة، والرفض، والتعبير عن العواطف والأحاسيس، وأداء المهام اللاحقة في حالة حداد، واكتشاف معنى الفقدان، وتبادل الغفران والتسامح، الميراث (Mombourquette, 1993).

الصدمة : وتتميز هذه المرحلة بحالة شلل في العواطف والتصورات ؛ بحيث يصبح الشخص شبه مخدر إلى درجة أنه لا يستطيع أن يستوعب كل الآثار والتطورات العاطفية الناتجة عن الفقدان. وهي تتجه نحو حياة داخلية يعيشها

الفرد وتكون مليئة بالخيال اتجاه المفقود ومصحوبة بالهلوسة بهدف استحضار الفقيد.

الرفض : وهو شكل من المقاومة، ظنا من الفرد بأنه يستطيع محو الحقيقة عن طريق إخفائها. وأهمية الرفض (الإنكار) تكون من خلال تأخير الإحساس بالوعي الحقيقي بالفاجعة. كما يأخذ هذا الوعي طابعا قويا يؤدي إلى فقدان القدرة النفسية، ويرى الكاتب جينات رامبو بأنه يجب على الوالدين تقبل حدث فقدان الطفل (Raimbault, 2011). وعليه وجب التضامن مع الأفراد الذين فقدوا أبناءهم (Hanus, 2006). وأول شكل يأخذه الرفض هو الطبيعة المعرفية؛ لأنه يتم رفض فقدان ؛ بحيث يحاول المفجوع نسيان الحدث. والشكل الثاني الذي يتخذه الرفض هو طبيعة عاطفية : حيث يصبح التعبير العاطفي مسدودا. كما أن الرفض يأخذ أشكالا مختلفة ؛ كأن يصبح الشخص مفرط النشاط، يبحث عن شخص آخر بديلا عن الميت والبحث عن الجاني أو المتسبب في الموت. ويعتبر الرفض مرحلة محورية في الوعي اليقظ لحدث فقدان الذي يعيشه الفرد في بداية الحداد. وينتاب الفرد تهيؤات اتجاه الفقيد ثم يليه الحزن. وعندما تتجلى حقيقة فقدان فإنه يبرز كل عواطفه من الحيرة، والضعف، والحزن، والغضب، والشعور بالذنب، والشعور بالتححرر والبكاء.

الحيرة والخوف : وبعد فقدان تظهر على المفجوع الحيرة، وهي تأخذ مسار الإحساس بعدم القوة والضعف أمام مصيبة الموت، ويفقد الشخص المصاب زمام التحكم. وفي بعض الأحيان يكون الخوف ظاهرا عليه وتنشأ هذه العاطفة عندما يعجز عن استعادة الفقيد ويبقى أثر الألم عميقا. ويؤثر فقدان طفل سلبا على الوالدين، وفي هذا الشأن فإن المعاناة والأسى يميزان مسار حداد الآباء والأمهات (Haussaire-Niquet, 2004). ويؤدي عامل الخوف إلى عزلة الفرد

عن الجماعة، وبقية في حالة ذكرى متعلقة بالشخص المفقود، فعامل الخوف يساعد في الإبقاء على العلاقة بين الطرفين.

الحزن : هو المعاناة خلال فترة الحداد والتي يكون الوعي بالفقدان العاطفي في صورة تمزق داخلي وتطهير، فالحزن ألم يصيب القلب لدرجة يتمنى أهل الفقيد الموت حزنا. ويجب في هذه الحالة مرافقة الشخص الحزين، والتحدث معه وتركه يعبر عن أحزانه.

الغضب : ويأخذ شكل احتجاج عفوي أمام الغياب الذي يشعرونا بفراغ رهيب كما يسبب الشعور بالعزلة. وهذا يولد غضبا مع عدم القدرة على التعبير عنه لأن المجتمع لا يتقبل ذلك. ويحاول الشخص الغاضب البحث عن العامل الذي تسبب في الوفاة، ليتحرر من الغضب ويبعده عن نفسه.

الشعور بالذنب : إنّ أهل الفقيد يبحثون عن إجابة للرعب الذي أصابهم، ويتولد لديهم شعور بالتقصير اتجاه الفقيد. ويؤكد الباحث كريستوف فور في هذا الصدد أنه يجب فهم الحداد والأحاسيس التي يولدها من خلال مرافقة الأشخاص الذين هم في حداد (Fauré, 2004).

الإحساس بالتحرر : ننسى في الغالب بأن الفقدان يحرق العواطف، فالأب الذي يموت يكون قد خُص من كل الألام. وباستطاعتنا الاستمرار في الحياة بعد هذا الحدث. ونشعر بالألام ولكن يتشكل بعدها تحرر من الرعب والخوف الذاتي الذي يهدد الحياة.

الوعي بالفقدان وتقبله : وتأتي مرحلة التعبير عن الأحاسيس والعواطف عندما يتقبل المفجوع صدمة الوفاة ويعي حجم الحدث الذي أصابه، وهذا يعني إدراكه نهاية التعلق الذي كان يربطه بالفقيد، وهذا ما ينتج كآبة يعبر عنها بالدموع وإبراز الأحاسيس. ويدخل بعدها حياة السلم بعد زوال الخطر ويتمثال شيئا فشيئا إلى الشفاء. ويشير الباحث دانيال أوبنهايم إلى الحداد الداخلي الذي

يمس الوالدين، وهذا ما يتطلب الاستعانة بطبيب نفسي، (Oppenheim Hartmann, 2002) وتكون هذه المرحلة مؤلمة، وهي مرحلة القبول بمعنى بداية التئام الجراح، وتكون المراحل السابقة الذكر لأجل اندمال الجروح بالمعنى المجازي والوعي بها، ثم إنشاء ظروف لأجل التماثل نحو الشفاء. وأثناء مرحلة القبول يحصل الشفاء؛ حيث يصير ممكنا التكلم عن فقدان دون إبراز العواطف. وهذه اللحظة تثبت بأن الحداد ليس نسيانا؛ لكن مرحلة جديدة لأجل الارتباط بالفقيد.

اكتشاف معنى فقدان: وهذا يعني إيجاد معنى الفقدان؛ لأنه لا يوجد فقدان بدون معنى، والذي يترجم من خلال مكسب النضج، وهي لحظة البحث عن معارف جديدة حول الذات والآخرين.

تبادل الغفران: يصبح الفرد في هذه المرحلة في حداد وينخرط في طقوس الغفران لأجل التقليل من حدة الغضب أو العداوة والشعور بالذنب. وتبادل الغفران، (المسامحة كما هي ممارسة في مجتمعنا سواء في مرحلة الاحتضار أو بعد الموت مباشرة) وتنخفض حدة الغضب ويتم التحرر شيئا فشيئا من الشعور بالذنب ويحل السلم في القلب.

ويبقى الحداد مرتبطا بالوفاة ويمس أوجها مختلفة من الحياة. ويؤثر الألم والحزن على الصحة الجسدية والسيكولوجية والمعرفية. وفي هذا السياق أعطت "داجيت" لمحة عن السمات الأساسية للحداد، ومن أهمها محادثة الفقيد والبحث عن السند والتغلب على الألم والإمساك بزمام الأمور والبحث عن معنى الفقدان.

الحداد المعقد: يتميز هذا النوع بعدم ظهور ردود أفعال؛ كأنه لم يحدث شيء، فيتشكل رفض غير واع، وفي بعض الحالات يكون واعيا. وهذه الآلية تسمح بالتقليل من المواجهة مع الفقيد، وهو تعبير عن رفض حدث الموت.

التكثيف من الحداد : وتطغى عليه كثافة مظاهر الحداد و شعور الفرد بالذنب، تجاه المتوفى.

الحداد غير المكتمل : ويتجلى من خلال الاضطرابات الناتجة عن الاكتئاب والحزن، ويستمر إلى ما بعد الفترة المعتادة للحداد (سنة أشهر إلى سنة واحدة)، وهذا الاضطراب الكئيب يولد الحداد المرضي، وفي حالات أخرى يحصل الشعور بالعزلة ويصبح الفرد يعيش الماضي. وهذا الحداد غير المكتمل يدوم سنوات ويستمر المفجوع في إظهار أفكار تحمل عنفا عاطفيا ورغبات مؤلمة والشعور بالوحدة والعزلة والفراغ الرهيب وتجنب الأنشطة التي تذكر بالفقيد مع اضطرابات نوم غير معتادة.

الحداد الممتد : يدوم من ستة أشهر إلى غاية سنة ؛ إذ يستمر المفجوع في العيش في الماضي والتفكير في الموت...

الحداد المرضي : يتجلى من خلال الاضطرابات التي تظهر على المزاج مثل: القلق، والهوس والاكتئاب، وفي غالب الأحوال يخرج الفرد من حداده ويتمكن من العودة إلى السياق الثقافي والاجتماعي والعائلي.

الحداد والكآبة عند سيغموند فرويد : (Freud, 2004) في مقال فرويد حول "الحداد والكآبة" قدم معايير علمية دقيقة حول الموت بصفة عامة وحول الكآبة بصفة خاصة. واهتمام فرويد بهذا الموضوع لم يكن صدفة ؛ حيث تم تحرير المقال في سياق خاص إثر تجنيد ابنه (إرنست و مارتين) في الحرب. وأصبح شبح الموت يحوم أكثر فوق فرويد عندما عرف أن أجله قد اقترب لإصابته منذ أزيد من عام بسرطان قاتل. وبرز في مقاله بأن آلية الحداد العادي والكآبة والحزن ليست سهلة التشرح ؛ حيث إنهما تتشابكا مع المرض الجسدي. واعتمد فرويد في البداية على جمع الفرضيات النظرية التي ليس من المقدر تأكيدها ؛ على أساس تجربة إكلينيكية. وطرح فرويد فكرة التماهي مع الأشياء

المفقودة ضمن منظومة نرجسية سائدة. وحاول فهم سيرورة الحزن والكآبة ومقارنتهما بالحداد ؛ لأن هاتين الحالتين متقاربتان، إلا أن الأولى حالة مرضية تتميز بمزاج مؤلم للغاية ولا تبالي بالعالم الخارجي وتفقد الحب كلية مع تعليق كل الأنشطة. ويرى أن هناك ثلاثة معايير خاصة بالحزن والكآبة وهي: الوهم المتعلق بالبخل والذي يكون مصحوبا بالأرق ورفض تناول الطعام والإخفاق التام في الحياة. فلما نفقد عزيزا نبدأ عندها بسحب غريزة الليبدو كي يتم استثمارها في جهة أخرى. وحتى في حالة التمسك بقوة عاطفة الحب نحو الفقيد إلا أن الواقع يفرض نفسه مع الوقت مؤكدا فقدان الدائم للمتوفى. وبالتالي يحافظ الفرد على صورة الفقيد في ذاكرته، وتقل غريزة الليبدو اتجاهه ويتم توجيهها نحو أشخاص آخرين، فمع نهاية الحداد يبدأ أنا الفرد بالتححرر.

ويميز فرويد في الحداد والاكنتاب بين نمطين : الحداد العادي الذي يكون على مستوى الوعي ؛ حيث يتحسن الفرد خلال الحداد بتغيير علاقته مع الفقيد بسحب غريزة الليبدو. والحداد المرضي الذي يتجسد في فضاء غير واع (منطقة اللاوعي) ؛ بحيث يعلم الشخص بأنه فقد شخصا ما ؛ لكن مع ذلك ليست قيمة الشخص المتوفى وميزته هي التي تبقى في ذهن الفرد (Freud, 2004). إن هذا الفرد يبقى غير قادر على دمج هذا فقدان، وغير قادر على سحب غريزة الليبدو، فيأخذ الاكنتاب شكل حداد مرضي حاد. وبالتالي لا يعي الفرد المصاب كل الوعي حدث الوفاة (الفقدان).

وكتب الباحث فرانزي إلى فرويد في هذا الموضوع أن الحداد الذي ينتج عن فقدان الشخص المحبوب يتحول إلى حداد الأنا والذي يتسم بالنرجسية، ويؤكد لنا فرويد أنه خلال فترة العلاج الإيجابي للمريض من غير المجدي أن نتعارض مع لوم المريض لنفسه. فهو يصبح يشتكي ويحط من قيمته، وإن عمل العلاج النفسي يبقى هشاً ويتمحور حول استرداد وتعزيز الأنا (الذات). وهذا بوضع

خارطة طريق مبنية على علاقات اجتماعية ومهنية لأجل وضع المريض في الحاضر وتوجيهه نحو المستقبل ؛ لكن الشخص الذي يغرق في حالة الحزن والكآبة يصبح له مسار خاص. ويرى أوتورانك أن هذه الخيارات تكون وفقا لقاعدة نرجسية.

ويعاني المريض دوما من صعوبات عاطفية، ويصبح أنه مثارا بالرغبات اتجاه الفقيد، ومن الضروري أن يحتفظ في ذاته بالفقيد. ويعتقد فرويد أن تراجع الحزن (الكآبة) يكون من الناحية الشفهية مثل : حالة الهستيريا، ويكون الفرد معزولا نتيجة تعبيرات هستيرية أو من خلال استردادات فكرية وطقسية. وبهذا الثبات النرجسي يمكن لنا تحديد الحداد العادي وتمييزه من الحداد المرضي. وبترجع الحالة النرجسية الشفهية يبقى هذا الاكتئاب خاضعا لصراعات متناقضة، والذي يعقد العلاقة مع الحالة ويضعه في محيط يكون فيه نوع من الإفراط (حالة السادية)¹⁶.

كما أن الكراهية الناتجة عن السادية تكون نحو الفقيد والتي تعود بالسلب على الحزين نفسه، وينجر عن هذا إمكان الانتحار. وأكد أبراهام في رسالته إلى فرويد بأن ظاهرة السادية تكبح كل قدرة على الحب والاكتئاب الذي يصيب الفرد، ويصبح الأنا الأعلى أكثر عدوانية (Freud, 2004). ولكن لماذا يتجه بعض الأفراد نحو الحزن ويصبح البعض الآخر مستحودين ؟ لأنه في حالة الحزن نجد اختيارا للحالة النرجسية، تباث شفهي وحساسية عاطفية بالنسبة للأنا الضعيف، وربما يصعب أيضا التحكم في الحالة (الشخص الحزين). وبالنسبة

¹⁶ تعني السادية اكتساب المتعة من رؤية الآخرين يقاسون الألم أو عدم الراحة. وتتميز شخصيات الساديين بالقسوة والعدوان المتكرر. كما يمكن أن تشمل السادية استخدام القسوة العاطفية، والتلاعب بالآخرين وذلك من خلال استخدام التخويف والعنف، في حين يستمتع بعض أفراد السادية في تعريض الآخرين للألم والمعاناة، والسادية لا تعني دائما الاعتداء الجسدي أو العنف. ففي كثير من الأحيان. يعبر أفراد السادية عن السلوكيات الاجتماعية العدوانية والتمتع بإهانة الآخرين من أجل الشعور بالقوة أو السيطرة أو حماية النظام.

لفرويد يكون الصراع النفسي للميلونكوليا من دون شك ما بين الأنا والأنا الأعلى. ويبقى الهوس عكس الحزن والكآبة ؛ لكن الظاهرتان تعتبران إجابتين عن الطابع المعقد نفسه مع بعض الاختلاف في الأنا الذي يخضع في الاكتئاب والحزن إلى الألم المرتبط بالفقيد، في حين أنه في حالة الهوس ينجح الأنا في التحكم في الحدث. ولكن حالة الهوس هذه هي قليلة الاستقرار، كما تستقر طاقة الفرد؛ بحيث لا يصبح يشعر بالرضا إلا مؤقتا ثم يعود إلى حالة الحزن والاكتئاب.

واختصار حالة الحزن والاكتئاب يكون بسحب غريزة الليبدو اتجاه المتوفى نحو أنا الفرد. وبهذا الحدث فإن طابع الحزن والكآبة تدمجان (حدث الفقدان) بمعنى الحالة في ذاتها باتجاه تحديد وتراجع نرجسي ما ينتج عنه تفكك غامض وتحرر اتجاه لغز الموت. وفي نصوص مكملة لدراسات فرويد سنة 1924م حول الحزن والاكتئاب، يلح كارل أبراهام على مسار السادية من خلال الحزن والاكتئاب والتي تبقى ثابتة في اتجاهها، وإنَّ الفقدان الحقيقي ينجر عنه إدماج الفرد الفقيد. ونجد الإدماج في الحداد العادي والمرضي. وفيما يخص الحزن والاكتئاب فإنه يحدث في حالة نرجسية ممزوجة بحالة توتر في العلاقات مع الفاعل ؛ حيث يكون هناك تقوية لمجموعة متناقضات تحول أحاسيس الحب إلى كراهية. وخلال فترة الحداد يتم نفي المشاعر العدائية في مقابل الحنان والعطف. وبهذا الفعل، فإنَّ إدماج الفاعل يسمح بالحفاظ على الحب الذي يكتنه. ويكون توجه الفاعل الواعي لحدث الفقدان نحو الحزن والكآبة من أجل إعادة إنعاش الفقيد بالمعنى المجازي وإعادة الحياة الرمزية له.

خلاصة

توصلنا إلى أنه في الكتابات الجنائزية في الجرائد اليومية يتم إدراج صورة المتوفى في الإعلان. كما نجد في هذه الكتابة تعابير تكون مرتبطة بالجانب الروحي مثل : طلب عائلة الشخص المتوفى من كل شخص عرف الفقيد بالدعاء له،

وطلب الرحمة والمغفرة على روحه الطاهرة. وأن يسكنه الله فسيح جنانه. كما يتم الإشارة في بداية الكتابات الجنائزية إلى آيات قرآنية. ويعبر الأفراد في إعلاناتهم الجنائزية عن معتقداتهم الروحية ومشاعرهم الشخصية والتي قد لا نجد لها فضاء آخر ما عدا الجرائد التي تخلد الشخص المتوفى بذكر خصاله ودوره وأهميته في الحياة العائلية والمجتمعية في مناسبات الإعلان عن الوفاة، والتعزية، والذكرى والترحم، والشكر والعرفان والأربعينية واليوم السابع. وتحاول "العائلة الجزائرية" من خلال الكتابات الجنائزية في مختلف الجرائد اليومية أن تذكر خصال الشخص المتوفى. ومن العبارات المستخدمة في النصوص والكتابات الجنائزية ما يلي :

- الصبر والسلوان ؛ المغفرة والرضوان ؛ المصاب الأليم ؛ نتمنى من العلي القدير أن يسكنه فسيح جناته ؛ غمر الله روحه بجنانه ؛ إنا لله وإنا إليه راجعون¹⁷؛ ببالف الحزن والأسى ؛ بقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره ؛ بمزيد الحسرة والألم ؛ التحق بجواربه ؛ المغفور له ؛ المرحوم ؛ الابن العزيز ؛ الأب الحنون، أسكنه الله فسيح جنانه (جناته) ؛ فراديس جنانه. ارتح بسلام أبي العزيز ؛ ارتاحي بسلام أمي العزيزة ؛ ألف رحمة ونور عليك.

ويبرز في الكتابات الجنائزية الأثر النفسي للحداد على الفرد حيث يمر الحداد بمراحل وهي :

الصدمة ؛ الرفض ؛ التعبير عن العواطف والأحاسيس ؛ أداء المهام اللاحقة في حالة الحداد ؛ اكتشاف معنى فقدان ؛ تبادل الغفران والتسامح ؛ الميراث. ويكون الفرد ؛ خلال الحداد متسما بالحيرة والخوف ؛ الحزن ؛ الغضب ؛ الشعور بالذنب ؛ الاحساس بالتححر؛ الوعي بالفقدان.

ويستمد الطقس الجنائزي خصوصيته من المقدس ؛ لأنه يحيلنا إلى كل ما

¹⁷ سورة البقرة، الآية : 156.

هو مرتبط بعالم الوجود وحقيقة الموت والقوى الغيبية والتي تجعل من وجود الإنسان في موضع إشكال. ولهذا نجد الدين حاضرا في النصوص الجنائزية. وتؤكد لنا النصوص الجنائزية الانتماء الاجتماعي للفقيد، كما يتضح لنا مدى الأسى والحزن الذي يخلفه الفقيد على مستوى العلاقات الإنسانية. وتحيلنا الكتابات الجنائزية إلى الحداد المستمر، الشيء الذي يطرح عدة أسئلة كما هو الحال لدى الأفراد الذين فقدوا أقاربهم، وأحبائهم وأصدقائهم، ومدى صمود الأفراد ومقاومتهم للموت بإحياء ذكرى الأشخاص المتوفين. وقد يعاني الفرد من اضطرابات تؤدي به إلى الكآبة ويشعر بالحنين اتجاه الفقيد.

الببليوغرافيا

- الأبشيبي، المحلي (د.ت). المستطرف في كل فن مستظرف. مراجعة سيد الأهل عبد العزيز، (د.ط). القاهرة: مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، 284/02.
- القلقشندي أبو العباس، أحمد (1916). صبح الأعشى. (9)، القاهرة: المطبعة الأميرية. 1334هـ.
- زازوي، موفق (2002). الطقوس الجنائزية في منطقة تلمسان. (رسالة ماجستير).
- سراج الدين، محمد (2010). موسوعة روائع الشعر العربي. بيروت، لبنان: دارالراتب.
- الشيخ الألباني، محمد ناصر الدين مختصر أحكام الجنائز وبدعها. على الموقع الإلكتروني
- <http://www.binatiih.com/go/news.php?action=view&id=241>
- صابر عبيد، محمد (2010). سيمياء الموت، تأويل الرؤيا الشعرية. دمشق: دار النشر نينوى.
- المبرد، أبو العباس (1992). التعازي والمراثي. (ت288هـ). (ط 2). تحقيق

الديباجي، محمد. لبنان : دارصادر. 1412 هـ.

محمود بن عمر الزمخشري، جاد الله أبو القاسم (ت538هـ). أساس البلاغة. تحقيق عبد الرحيم محمود، لبنان : دارالمعرفة.

Association Le Cairn. (2000). *La mort subite du nourrisson. Comment vivre sans lui ?* France : édition Ellipse/ vivre et comprendre.

Beautheac, N. (2001). *Le deuil. Comment y faire face ? Comment le surmonter ?*. France : Seuil.

Beautheac, N. (2010). *Cent réponses aux questions sur le deuil et le chagrin*. France : Albin Michel.

Comte - Sponville, A. (1995). *Petit traité des grandes vertus*. Paris : PUF.

Cooper, G. (Février 2011). *Le livre des morts*. France : éditions Pocket.

Cyrułnik, B. (2011). *Quand un enfant se donne la mort*. France : éditions Odile Jacob.

Dubreuil, H., de Montigny, F. et Robichaud, F. (2005). *Le deuil dans différentes cultures*. Université de Québec en Outaouais : UQO-IRSC.

Durkheim, É. (1988). *Les Règles de la méthode scientifique*. Paris : éditions Flammarion.

Fauré, C. (2004). *Vivre le deuil au jour le jour*. France : éditions Albin Michel.

Freud, S. (2004). *Deuil et mélancolie. Extrait de Métapsychologie. Sociétés*, 4. (86). 7-19. DOI : 10.3917/soc.086.0007. En ligne : URL <https://www.cairn.info/revue-societes-2004-4-page-7.htm>

Geertz, C. (1996). *Ici et là-bas. L'Anthropologue comme auteur*. Paris : éditions A.-M. Métailié.

Hanus, M. (2006). *La mort d'un enfant: fin de vie de l'enfant : Le deuil des proches*. Paris : Coll Espace Éthique- Vuibert.

Hausaire-Niquet, C. (2004). *Le deuil périnatal : le vivre et l'accompagner*. France : Le souffle d'or.

Hausnaire-Niquet, C. (2004). *Le deuil périnatal: le vivre et l'accompagner*. France : Le souffle d'or.

Kubler-Ross, E. (1998). *La mort et l'enfant*. France : éditions du Rocher.

Masson, J. (2006). *Derrière mes larmes d'enfant*. France : éditions Ressources.

Mombourquette, J. (1993). *Groupe d'entraide pour personnes en deuil*. Ottawa : éditions. Novalis, Université St-Paul.

Monbourquette, J. (2011). *Aimer, perdre, grandir*. France : Bayard.
Oppenheim, D., Hartmann, O. (2002). *Parents en deuil: le temps reprend son cours*. France : éditions Erès.

Raimbault, G. (2011). *Lorsque l'enfant disparaît*. France : Odile Jacob.

Régnier, R., Saint-Pierre, L. (2000). *Quand le deuil survient*. Montréal : éditions Sciences et Culture.

Regnier, R., Saint-Pierre, L. (2000). *Quand le deuil survient. 80 question et réponses*. Montréal : Beliveau / éditions Sciences et culture.

Rinpoche, S. (2005, septembre). *Le livre Tibétain de la vie et de la mort*. France : éditions de la Table Ronde.

Robert, A.-D., Bouillaguet, A. (1997). *L'analyse de contenu : Que sais-je ?* France : PUF.

Robitaille, M. (2002). *La peine des Sans-Voix*. Canada : éditions Académie Impact.